الفصل العاشر

اختطـــاف

همت ديما من الدخول إلى كليتها ففوجئت بحمزة يعترض طريقها مرتدياً قميصاً وسروالاً مدنيان فقالت:

_ حمزة! ماذا تريد الآن؟

قال حمزة بعصبية وهو يمسك بذراعها:

_ أأنت ترفضين خطبتي؟ أتفضلين عليّ ذلك التافه؟

قالت ديما: من فضلك يا حمزة أترك ذراعي، ودعني أدخل كليتي.

لم يعبأ بكلامها وقال بعصبية: لا تظني إني سأترككما تهنئان. فليس أنا من يؤخذ منه شيئاً بغير رضاه. فإما أن تكوني لي أو فلتجهزا قبركما أنتما الإثنان.

انفعلت ديما قائلة: أترك ذراعي لو سمحت.

لاحظ عدد من شباب الكلية ما يحدث فاتجهوا نحو حمزة مسرعين وقال أحدهم: ماذا بك؟ أترك ذراعها.

نظر إليه حمزة باحتقار وقال: لا شأن لك بهذا. هيا العب بعيداً، وإلا قمت بوضعك في السجن فأنا ضابط شرطة.

قال أحد الشباب: ألأنك ضابط شرطة تتجبر على الناس؟

وقال شاب أخر: نحن نحترم رجال الشرطة، ونقدر تضحياتهم، ونعرف كيف يتعرضون للمخاطر، ويصمدون أمامها من أجل وطنهم، ولكن للآسف شخص مثلك بتلك التصرفات يمكّن أعداء الوطن من الإساءة لجهاز الشرطة بأكمله، وتشويه صورته.

قال حمزة مبتسماً بسخرية: هل انتهيت أيها الخطيب الماهر؟ هيا انصرف الآن أنت وزملائك حتى لا يكون اليوم هو آخر أيام حريتكم.

هنا آتى إليهم شاباً وسيماً قائلاً: ما الأمر.

قال حمزة بسخرية: ها قد جاء متطفل آخر.

قال الشاب بجدية: لماذا تمسك بذراعها هكذا؟

قال حمزة بغضب: وما شأنك أنت؟ هيا انصرفوا جميعاً قبل أن أوجه لكم جميعاً تهمة الإعتداء على رجل شرطة.

قال الشاب مبتسماً: أنت رجل شرطة إذن؟

قال حمزة: نعم. وهيا اذهب أنت وهؤلاء الحمقى من أمامي.

قال الشاب: هل من الممكن أن تريني هويتك؟

ضحك حمزة بسخرية وقال: هويتي!؟ تريد أن ترى هويتي؟ إليك هويتي..

هم حمزة أن يلكم الشاب لكن الشاب استطاع تفاديها ليس هذا فحسب لقد أمسك بذراع حمزة وقام بثنيها ووضعها خلف ظهر حمزة بقوة فقال حمزة منفعلاً: ستدفع ثمن هذا غالياً.

قام الشاب بترك ذراع حمزة ووقف أمامه قائلاً: أنت الذي ستدفع ثمن تصرفاتك هذه غالياً.

ثم أظهر الشاب لحمزة بطاقة هوية مستطردً: أنا الرائد سعيد الشوادفي من الأمن العام من فضلك أبرز لي هويتك.

بدا الإرتباك على حمزة بينما ابتسمت ديما كما بدا الارتياح على وجه الحاضرون.

****

جلس أدهم في غرفته على مقعده الهزاز يشاهد أحد الأفلام فوصل إلى أذنيه رنين جرس الباب، قام أدهم بفتح باب الشقة ليفاجئ أمامه بحمزة يقف شامخاً فقال أدهم مندهشاً: حمزة!

دلف حمزة إلى داخل الشقة دون استئذان، وقال: لقد آتيت إليك يا أدهم لنتفاهم بهدوء وبتعقل.

وقف أدهم أمام حمزة، وعقد ساعديه أمام صدره وقال: هات ما عندك يا حمزة.

قال حمزة: حبيبي أدهم. مهما حدث بيننا فنحن أبناء عمومة فأرجوك لا تضطرني لأذيتك.

ابتسم أدهم بسخرية وقال: ولماذا تأذيني يا حياتي؟ ماذا فعلت لك؟

قال حمزة بحدة: ليس لك شأن بخطيبتي يا أدهم.

قال أدهم بسخرية: ما هذا؟ أمازلت خاطباً؟!

قال حمزة بعصبية: لا تتحداني يا أدهم، وابتعد عن ديما.

قال أدهم بسخرية: ماذا حدث لك يا حمزة؟ ألم يعد لديك أي نوع من الإحساس؟ أنت تعلم جيداً أن ديما تحبني، وأخبرتك مراراً إنها لا تحبك، وإنها تكرهك، ورغم ذلك تريد الزواج منها. أنت غريب جداً يا حموزة.

قال حمزة بلهجة قوية: للمرة الأخيرة أقولها لك يا أدهم. ابتعد عن ديما. لا تجعلني أضعك في رأسي.

نظر أدهم إلى عيني حمزة وقال بتحد: بل لا تضطرني أنت أن أضعك في رأسي.

فوجئ حمزة بتلك الجملة فقال: ماذا قلت!؟ أنت تضعني أنا في رأسك!؟ يبدو أنك لا تعرف مع من تلعب؟

اقترب أدهم بوجهه من وجه حمزة وقال بنبرة قوية غير معتادة: ما رأيك أن يضع كل منا الآخر في رأسه، ونرى من الذي سيحطم رأس الآخر في النهاية؟

للمرة الثانية فوجئ حمزة بطريقة أدهم فأخذ ينظر إليه متفحصاً ثم قال: لست أدري كيف جاءتك الجرأة لتتحدث معي هكذا. لكن إعلم أنك أنت الذي أردت التحدي فلا تأت بعد ذلك باكياً إلى والدي ليشفع لك عندي.

قالها حمزة ثم أسرع بالخروج من الشقة بينما ظل أدهم واقفاً في مكانه، وارتسمت على شفاهه ابتسامة عريضة.

****

سار أدهم بسيارته متوجهاً إلى كلية ديما، ولكن تعترضه سيارتان داخل كل منهما أربعة شباب أصحاب بنية رياضية قوية، وأخذ راكبو السيارتان يتحرشان به بألفاظ مسيئة ثم أخذت السيارتان تحتكان بسيارة أدهم فأصاباها بكثير من الصدمات فتملك الغضب من أدهم فأوقف سيارته، وهبط منها، وكذلك هبط الشباب من السيارتان واتجهوا جميعاً نحوه وقد أمسك كل منهم مدية في يده، وقال أحدهم: لماذا وجهت إلينا السباب أيها الغبي؟

قال أدهم: أنتم الذين بدأتم بالإساءة لي، وبالإحتكاك بسيارتي فماذا تريدون؟

قال أحدهم: نريد أن نجعلك تشعر إنك شخص تافه لا يجب أن تضع رأسك برأس أسيادك.

فهم أدهم إنهم مرسلين من قبل حمزة فقال متحدياً: حسناً. هيا أروني قوتكم.

ركض الشباب الثمانية بسرعة نحو أدهم لكنه قفز من فوق رؤوسهم ثم عاجل أحدهم، وركله بقدمه بقوة في ظهره فسقط أرضاً، وارتكز على إحدى ذراعيه، ودار بجسده راكلاً أقدام ثلاثة آخرين أسقطهم أرضاً، وبدأ العراك مع الآخرين غير عابئاً بكثرتهم، ولا بأسلحتهم فبرغم هذا كان هو الأكثر شراسة وعنفاً، وكانت المعركة تميل لصالحه تماماً.

خرجت ديما من كليتها، وأخذت تبحث بعينيها عن أدهم فلم تجده فقامت بالإتصال به فلم يجيبها، وكررت ذلك عدة مرات لكن دون فائدة فبدأت تشعر بالقلق فقررت الإتصال بالدكتورة نادية لتسألها عنه فأخبرتها نادية أنها لا تعلم عنه شيئاً وبينما هما تتحدثان وقفت جوار ديما سيارة ميكروباص خرج منها خمسة أشخاص ملثمين ذو بنية رياضية قوية، وقاموا باختطاف ديما، وإدخالها إلى السيارة الميكروباص وسط صراخها العالي الذي وصل بدوره إلى الدكتورة نادية التي كانت ما زالت تتحدث إليها عبر الهاتف كما سمعت نادية صوت أحد الأشخاص يصرخ في ديما ويطالبها بالصمت، وإلا قتلها ثم قطع الإتصال بينهما، وقد فهمت نادية أن ديما تعرضت للاختطاف.

وفي إحدى المناطق النائية المهجورة بمحافظة الحيرة، والتي بها أرض زراعية، وأمام بيت صغير من دورين وقفت السيارة الميكروباص، وهبط منها الخاطفون، ومعهم ديما، وقد وضعوا على عينيها عصابة سوداء لتحجب عنها الرؤية، وقام الخمسة أشخاص الخاطفون بإدخالها إلى إحدى الشقق بداخل هذا البيت، وكانت شقة مليئة بالكراكيب الخشبية، والورقية، وأخذت الدموع تنساب من أسفل العُصابة التي تغطي عيني ديما، وقام أحدهم بإزالة العصابة من فوق عينيها فأخذت ديما تتوسل له أن يدعها ترحل، لكن الرجال لم يعبئوا بتوسلاتها، وبكائها، وخرجوا من الغرفة، وأبقوها بداخلها، وأغلقوا عليها الباب، وأوصده أحدهم وأغلقه بالمفتاح بينما انهارت هي في البكاء.

****

تمكن أدهم من الخلاص من الرجال الثمانية، وجعلهم ملقون على الأرض يتألمون ثم أسرع إلى كلية ديما، وعندما لم يجدها أخذ يتصل بها لكن بالطبع لم يأتيه رد لكن أتاه اتصال هاتفي من والدته التي أخبرته بما سمعته في حديثها الهاتفي مع ديما فقال منفعلاً: ما هذا الذي تقولينه يا أمي؟ ديما خطفت؟ ومن الذي خطفها؟

أنهى أدهم المكالمة مع والدته، ووقف حائراً لا يعرف كيف يتصرف، وعاد إلى سيارته، وأخذ يضرب بيده عجلة القيادة، وقال محدثاً نفسه: مؤكد هو الذي فعلها، ولا أحد غيره.

قبل منصف الليل بقليل هبط حمزة من سيارته، وهم بالتوجه نحو بناية شقته لكنه فوجئ بصوت ينادي عليه فنظر إلى صاحب الصوت فوجده أدهم فتوقف مندهشاً قائلاً: أنت!؟ ماذا تريد؟

وقف أدهم أمامه وقال بحزم: أين ديما يا حمزة؟

امتعض حمزة وقال: للآسف يبدو أن كلام والدتك الدكتورة نادية صحيحاً وديما خطفت.

قال أدهم منفعلاً: ومن تظنه يخطف ديما يا حمزة سوى شخص يريد الإنتقام منها وإذلالها؟

نظر إليه حمزة بحدة وقال: لا أفهم ما تقصده.

قال أدهم بغضب: أنت الذي خطفت ديما يا حمزة.

قال حمزة: يبدو إنك فقدت عقلك. هيا اذهب من هنا.

أمسك أدهم في ملابس حمزة وقال منفعلاً: أين ديما يا حمزة؟

قال حمزة بغضب، وهو يبعد يدي أدهم عن ملابسه: أترك ملابسي أيها المجنون. أنا لا أعلم شيئاً عن ديما.

قال أدهم: البلطجية الذين أتوا للعراك معي ألم ترسلهم أنت حتى تعطلني عن الذهاب إليها لتتمكن من اختطافها؟

قال حمزة: ما هذا التخريف الذي تقوله. أنا عندما أريد الخلاص منك لن أحتاج لمساعدة أحد.

امتعض أدهم ونظر إلى حمزة بغضب، وقال بلهجة تهديدية: أنا أحذرك يا حمزة. لابد أن تعود ديما إن أردت أن تظل باقياً على قيد الحياة.

وانصرف أدهم بينما ظل حمزة واقفاً ينظر إليه بكراهية شديدة.

استقبل العميد كامل في مكتبه حمزة ابنه، ووالدة ديما التي كانت تبك بشدة، ومعها أسامة، وهاني. قال العميد كامل محاولاً زرع الطمأنينة في قلب الأم: لا أريدك أن تقلقي يا سيدة عفاف ففي أقرب وقت سنعثرعلى ديما بإذن الله.

قال أسامة: أرجو أن يحدث ذلك سريعاً فنحن في أشد حالات القلق والخوف على ديما.

قال كامل: لا تقلق يا أسامة فأنا متابع جيد لذلك الموضوع فديما بمثابة ابنتي مثل جومانة، وأنا أيضاً في شدة القلق عليها.

وبينما هم جالسون آتى أدهم لمقابلة العميد كامل ففوجئ أدهم بوجود حمزة، وكذلك أسرة ديما.

قال أدهم: هل توصلتم لشيء بخصوص ديما يا سيادة العميد؟

قال العميد كامل بآسف: للآسف لا. لكننا لن نيأس، وسيظل البحث جارياً.

قال أدهم بغضب: سيادة العميد أنا أريد تحرير محضر أتهم فيه حمزة باختطاف ديما.

وقعت الجملة على الجميع كالصاعقة بينما قال حمزة غاضباً: ما هذا الذي تقوله أيها المخبول، وبأي صفة توجه لي هذا الإتهام.

قال أدهم: بصفتي أبن عمها.

قال حمزة ساخراً: أبن عمها؟ ألم تخبرك والدتك بعد إنك لست أبناً لدكتور محمود..

قال كامل منفعلاً: حمزة. كف عن هذا الحديث.

قال حمزة مرتبكاً: ما كنت أود أن أقول ذلك ولكنه اضطرني.

ارتسمت الدهشة على وجه أدهم وقال: ما هذا الكلام الذي يقوله حمزة يا سيادة العميد. أأنا حقاً لست أبن الدكتور محمود؟

قالت والدة ديما: نعم. لقد آتى أحد المحامون إلى زوجي توفيق قبل وفاته ومعه رسالة قديمة من الدكتور محمود يخبره فيها إنك لست ابنه.

قال كامل منفعلاً: أرجوكم لا تجعلونا نخرج من موضوع ديما. كونك يا أدهم أبن محمود أو لا لا يهمنا في شيء ولن يغير من تقديرنا وحبنا لك. لقد تربيت وترعرعت بيننا، وكنت بمثابة ابن لنا جميعاً.

قال حمزة بغضب: أمازلت تعامله بذلك الود وهو يريد أن يحرر لي محضراً يتهمني فيه باختطاف ديما.

قال كامل: أنظر يا حمزة، وأنت كذلك يا أدهم سأعقد معكما اتفاقاً.

قال حمزة: ما هو؟

قال كامل: من يتمكن من العثور على ديما هو الذي سيتزوجها. ماذا قلتما؟

صمت الجميع ثم قال حمزة مبتسماً: أنا أوافق.

قال أدهم وهو ينظر إلى حمزة بتحد: وأنا أيضاً موافق.

دلفت الدكتورة نادية إلى شقتها فوجدت أدهم بانتظارها، ولاحظت أنه على غير عادته فقالت له: ماذا بك يا أدهم؟

قال أدهم دون مقدمات: من والدي يا أمي؟ ولا تقولي إنه الدكتور محمود. لقد علمت أن المحامي أرسل خطاب إلى المهندس توفيق يخبره فيه إني لست ابنه.

تفاجأت نادية بذلك وشعرت بالصدمة لكنها تمالكت نفسها وقالت: هذا كلام فارغ. لقد علمت بأمر هذا المحام الذي ذهب للمهندس توفيق بتلك الرسالة ولقد أكدت له أن هذا المحام زائف ونصاب. فلقد أتى لي وأراد أن

يساومني ويبتزني فهل يعقل أنه يكتشف هذا الخطاب بعد مرور كل هذه السنوات؟ قال أدهم: أمي. أرجوك أخبريني بالحقيقة فأنا لم أعتاد منك سواها.

قالت نادية: تأكد يا أدهم أني أقول لك الصدق والحقيقة.

في اليوم التالي قرر أدهم مراقبة حمزة فانتظر حتى أنهى عمله داخل القسم، وغادره مرتدياً سروالاً وقميصاً مدنيان، وانطلق حمزة بسيارته، فتتبعه أدهم بسيارته، واتجه حمزة إلى طريق الإسكندرية الصحراوي وسط اندهاش أدهم، ووصل حمزة إلى مدينة الإسكندرية الساحرة، ودلف إلى إحدى المطاعم وتناول وجبة سمك بينما أدهم داخل سيارته يجلس مغتاظاً، ويكاد يشيط غضباً، وانتهى حمزة من تناول طعامه ثم سار على قدميه متوجهاً نحو كورنيش الشاطئ، وجلس على السور المحيط بالشاطئ، وطلب مشروباً ساخناً من الباعة المنتشرين على كورنيش الشاطئ، وظل أدهم يراقبه وهو مشتاط غضباً، وأخيراً توجه حمزة إلى سيارته وانطلق بها، و أدهم مستمراً في متابعته حتى فوجئ به يسير في اتجاه طريق القاهرة فازداد اندهاشه فقال محدثاً نفسه: ما هذا العبث إنه يعود إلى القاهرة. هل آتى إلى الإسكندرية ليأكل سمك ويشرب ذلك المشروب الساخن.

وبالفعل عاد حمزة إلى القاهرة وتوجه إلى بيته فامتعض أدهم وشعر بالخيبة، وأخذ يضرب بيده عجلة قيادة السيارة مفرغاً طاقته الغاضبة ثم استدار بسيارته مبتعداً عن تلك المنطقة بينما هبط حمزة من سيارته وعلى

شفاهه ابتسامة واسعة، ونظر نحو سيارة أدهم التي ابتعدت عنه وقال: أتراقب ضابط شرطة أيها المخبول. يا لك من غبي.

ودلف حمزة إلى شقته فوجد والده العميد كامل بانتظاره، وقال له بغضب: ما الذي ذهب بك إلى الإسكندرية؟

قال حمزة: لقد أخبرتك في الهاتف يا أبي كان معي بعض الأصدقاء أرادوا أن يتناولون وجبة أسماك في أحد المطاعم الشهيرة هناك.

قال كامل: المهم هل توصلت إلى شيء بخصوص ديما؟

قال حمزة: إنني أفعل كل ما بوسعي من أجل العثور عليها.

قال كامل: أخشى أن يجدها أدهم قبلك فتسيرزوجة له كما اتفقنا.

ضحك حمزة ساخراً وقال: أدهم يجدها!؟ هذا من رابع المستحيلات.

نظر إليه والده دهشاً وقال: ولم هذه الثقة؟

قال حمزة: أننا ضباط شرطة يا أبي ورغم ذلك لم نتمكن من العثور عليها فما بالك بهذا التافه.

نظروالده إليه نظرة طويلة ممزوجة بالصمت، والحيرة.

****